**المحاضرة التاسعة والثلاثون**

**نظام المحارم والعلاقات الجنسية**

لقد وضعت المجتمعات كافة نظم اجتماعية ثابتة في تنظيم العلاقات الجنسية بين افراد افرادها غير المتزوجين والمتزوجين منهم ايضاً. اذ ان هناك قواعد سلوكية صارمة تحددها وتفرضها النظم الاجتماعية في حالة رغبة الشخص في الدخول بعلاقات جنسية ضمن نطاق الزواج. بمعنى في حالة الاختيار للزواج على الشخص ان يتوافق تماماً مع نظام المحارم الجنسية. فضلاً عن ان هناك قواعد سلوكية تحدد وتفرض على الاشخاص المتزوجين (ذكور واناث) ففي كل مجتمع تحدد عقوبات اجتماعية او دينية او قانونية او كلها تفرض على الشخص المتزوج (رجل او امرأة) في حالة ممارسة العلاقة الجنسية مع شخص اخر غير الزوج. وفي تنظيم العلاقات الجنسية بين الناس اوجدت المجتمعات الانسانية قواعد للزواج تتحدد بالزواج الداخلي والزواج الخارجي.

ان الزواج الداخلي endogamy يفرض على الشخص اختيار زوجة من ضمن قبيلته او مجتمعه المحلي او طبقته الاجتماعية او توتمه او قومية او جنسه.

اما الزواج الخارجي exogamy فيفرض على الشخص اختيار زوجة من خارج جماعته الاجتماعية.

ان نظام المحارم يمتاز بأهمية كبيرة في تحليل البناء الاسري وفي تركيب العلاقات الاجتماعية بين الافراد والجماعات ويشير نظام المحارم incest taboo الى تحريم الممارسة الجنسية مع الاقارب الذين يرتبطون بعلاقات دموية مغلقة glose blood relatives. فالعلاقات الجنسية داخل نطاق الاسرة النواة دائماً محرمة باستثناء العلاقة بين الزوج والزوجة. ولا يوجد مجتمع يبيح العلاقة الجنسية بين الاب والبنت او بين الام والابن او بين الاخ والاخت. فضلاً عن المجتمعات كافة حرمت العلاقة الجنسية بين الاباء والامهات الذين يتبون اطفالاً وبين هؤلاء الاطفال المتبنون اذ لا تمنع المجتمعات تلك العلاقة الجنسية بين الشخص المتبنى مثلاً وبين امه او ابيه انما يشمئز منها بوصفها منافية للأعراف والعادات والقواعد السلوكية.

ويمكن ان نشير الى بعض القواعد الشاذة والمستثنيات للسلوك الاجتماعي منها وجود الزواج بين الاخوة والاخوات في الاسر المالكة في مصر القديمة وبين الهنود وبين الطبقة الارستقراطية في هوائين وفسر وجود هذا النمط من الزواج بهدف الحفاظ على مراكز الحكم والقوة داخل الاسرة.

ووجد مردوك ان مجتمع دوبس ومالينزيا يمارس الجنس مع الام بعد وفاة الاب ووصفت هذه الممارسة بانها عمل خاص ونافع. اما مجتمع بالينس فقد سمح للتزاوج بين التوائم، معترضين ان هذا النوع من الزواج يتضمن او يعبر عن الاخلاص والوفاء لكلا الشخصين بوصفهم نشأوا في رحم واحد. ووجد ايضاً في مجتمع افريقيا في ثونكا ممارسة للجنسين بين الاب والبنت.

اما ما يتعلق الامر بالمجتمع العربي الاسلامي، فقد حرم العرب قبل الاسلام زواج الرجل بالأم والابنة والاخت والعمة والخالة، وبنت الاخ وبنت الاخت. وعندما جاء الاسلام اقر هذا التحريم اذ جاء في الآية القرآنية الكريمة "حرمت عليكم امهاتكم وبناتكم واخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الاخ وبنات الاخت، وامهاتكم اللاتي ارضعنكم واخواتكم من الرضاعة وامهات نسائكم وربائبكم اللاتي في جحوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن فان لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم وحلائل ابنائكم اللذين من اصلابكم وان تجمعوا بين الاختين الا ما قد سلف ان الله كان غفوراً رحيماً".

فضلاً عن ان العرب كانوا لا يجمعون بين الاختين ويكرهون نكاح الابن لزوجة الاب اما غير هؤلاء النساء فكان يحق للرجل ان يتزوج منهن ما يشاء.

ومن بين ما حرمه الشرع الاسلامي هو ان يستخدم اكبر الاولاد زوجة ابيه بوصفها ملكاً موروثاً له. وتوضح الآية القرآنية هذا التحريم "ولا تنكحوا ما نكح اباؤكم من النساء الا ما قد سلف، انه فاحشة ومقتاً وساء سبيلاً" وكذلك حرم الاسلام الاستبضاع بمعنى ان يقول الرجل لامرأته اذا ظهرت من حيضها ارسلي الى فلان فاستبضعي منه كما رحم الاسلام "الخدن" بمعنى ان يكون للمرأة خليلاً في السر يعاشرها معاشرة الازواج وجاء التحريم في الآية الكريمة "محصنات غير مسامحات ولا متخذات اخدان".

نخلص القول ان كل مجتمع انساني حدود وفرض مجموعة من القيود على ممارسة العلاقات الجنسية بين الناس ولو ان تلك القيود تباينت بها المجتمعات بتباين اوضاعها وثقافاتها. فالمجتمعات البدائية نمت وطورت قيود اختلفت بدرجة عن قيود المجتمعات المعاصرة.

وما يصح قوله ان العلاقات الجنسية كانت ولا تزال تحظى باهتمام المجتمعات الانسانية كافة وبدرجة كبيرة وان تنظيمها شرعت به ومنذ بدأ الحياة البشرية وما يصح قوله ايضاً ان (بعض مجتمعات) طورت ونظمت نمط من العلاقات الجنسية قديماً تماشى او توافق مع ظروف واوضاع خاصة سادت فيها مثل الحروب والصراع والكوارث الي كانت غالباً ما تحل بالمجتمعات البدائية او غير ذلك من العوامل التي فرضت نمطاً معيناً من الزواج بين جماعاتها الاجتماعية.

ولا يمكن لنا ان نتخذ من وجود تلك الانظمة الزواجية للبرهنة على وجود نمط معين من الزواج خاصة بين المحارم ونعده نظام قائم ساد المجتمعات البشرية كافة قديماً. فلابد للباحث ان يأخذ في الحسبان الارضاع والظروف التي دفعت الى ظهور تلك النظم. فضلا عن ان عدم انتشار تلك النظم الزواجية بين مجتمعات العالم الاخرى يعد اوضح برهان على انها ظهرت في ظل اوضاع غير اعتيادية مرت بها تلك المجتمعات.

ولعل من الضروري ان نشير الى ان ظهور نظام المحارم الجنسية قديماً لم يرتبط بظهور الاديان السماوية ويعني ذلك ان الحياة الانسانية القديمة لم تكن في حالة فوضى جنسية مطلقة بل كانت هناك نظم اجتماعية هدفت الى تنظيمها ومنها نظام المحارم الجنسية ولكن لكل قاعدة استثناءات قد تنشئ وتنمو وتتطور وتعتمد تحت تأثير ظروف واوضاع خاصة.

وبظهور الاديان السماوية التي حددت نمط العلاقات الجنسية بين الافراد انتظمت تلك العلاقات بصورة كاملة واصبحت نظم راسخة متعارف عليها في المجتمعات الانسانية كافة.

ان ظهور نظام المحارم الجنسية وتحريم الزواج بين الاقرباء اثار اهتمام غالبية العلماء الانثروبولوجيين واجتماعيين ولعل من الضروري التعرف على اسباب نشوء نظام المحارم الجنسية.